الطيب صالح فى حوار على حافة السلفية والتحريض والعولمة.. والسخرية:

(٢) موسم الهجرة إلى التراث!

(حتمية الكتابة!)

- عندنا تراث صناعى.. نسيناه!
- التقدم ينمو، حيث ينمو مناخ التقدم!
- الحكومة فى الخرطوم لا تدرك حجم تبديد الطاقات، الذى تتسبب فيه وهى لا تفهم مهمة الحكومة أصلا!!
- أنا لست أديب العمل الواحد.. ولا أؤمن بثرثرة الغزارة!
- لا تتناولونى (كأنا).. ولكن خذونى (كتيار)!
- أنا جزء من السيمفونية الإبداعية العربية!
- لا يوجد نظام عالمى جديد، ولا توجد سوبر باور واحدة، وأمريكا نفسها ليست شيئا واحدا، حتى توصف بهذا الوصف.
- لا أشغل نفسى بالنقد مهما زعل علينا البعض!

- النقد الجيد هو إبداع مواز للعمل الأدبى وليس مكملا له.
- حضرت مؤتمرا عن الحدا ثاوية، فلم أفهم شيئا!
- فوكو ولاكان وبارت يلعبون بالأفكار طبقا لتركيبة حضارتهم ومصيبتنا أننا أخذنا لعبهم جَدا!!
- ننيخ مثل الجمل إلى جوار إبداعات العالم!
- على المبدعين العرب أن ينتجوا ليملأوا الفراغات التى تنفذ منها سيطرة أفكار لا تخص بناءنا الحضارى فى شىء!
- لا يراودنى شك فى أن القاهرة هى عاصمة الثقافة العربية!
- كون مصر هى المركز فى الثقافة وغيرها لا يعنى أن المصريين فقط هم المبدعين!
- الأبنودى شاعر بالمعنى المطلق للكلمة، ولا يمكن تسكينه فى خانة (العامية)!

وفى هذه الحلقة من حوار الطيب صالح الأديب السودانى. . العربى الكبير، والذى جرت وقائعه فى نادى السيارات الملكى فى العاصمة البريطانية. . خضنا معا إشكاليات الإبداع وتقنياته، فكان حوارا فى فلسفة الكتابة، التى لخصها الطيب واختزلها فى كلمة/ حكمة هى: (حتمية الكتابة).

وعبر هذه الحتمية راح يطرح فى بساطة هائلة، وجم تواضع، حدود رأيه ورؤيته، حدود نظرته ونظريته!

فقط ـ ربما أستميحكم عذرا ـ فى استخدامنا بعض الكلمات الإنجليزية، التى رأيت أن أبقى بعضها، لدلالاته على طريقة تفكير الكاتب بعد غربة طويلة، وهى قضية احتلت مكانا بارزا فى هذه الشهادة الحوارية المكتوبة.

وهنا نص الجزء الثانى من الحوار:

● **طالما ذكرت ـ يا طيب ـ موضوع المدينة، وطالما ذكرت هذه الخيوط والواحات التى تسير بالتوالى أو بالتوازى، من دون أن تعشق بعضها مع بعض أو تتداخل، ألا ترى أن هذا التركيب أو التعقيد هو من سمات المجتمع الصناعى؟.. كيف تتحدث عنه فى مجتمعات تحت الصناعة بحكم التعريف؟**

○ معك حق إلى حد ما.

ولكن أود أن ألفتك إلى أن لدينا تراثا صناعيا، فأنتم فى مصر عندكم تاريخ من التطور الكبير فى صناعة المنسوجات، وصناعة الزجاج.

وحتى فى صناعة السينما. . لقد بدأتم مع هوليوود تقريبا فى نفس الوقت.

فى السودان كان عندنا مروى فى المملكة القديمة، وكان فيها مركز لاستخراج الحديد يغذى إفريقيا كلها، وهى موجود حتى الآن، ولكننا نسينا كل هذا.

وفى العراق وفى سوريا، كانت هناك صناعات متقدمة.

وإذا قمنا بالارتداد إلى الماضى مرة أخرى، سنجد أن المسلمين (بعد هزيمة بيزنطة) أخذوا كل التطورات العلمية منها، كما فعلوا ـ بالضبط ـ حين هزموا الفرس.

ولكن ما حدث ـ بعد ذلك ـ معروف، ولا يمكن وصفه إلا بالانقطاع، ونحن ـ الآن ـ نحاول أن نصحو، أو بمعنى آخر كنا نياما، والآن نريد أن نستيقظ.

وعندما قلت إن الأدب يوقظ الذاكرة فقد كنت أعنيها بالفعل، لأنها ستدلنا على مناطق فى تاريخنا تشكل أساس الانتقال لعصر الصناعة.

الصناعة هى التى ستجعل مجتمعنا يسير على أسس عقلانية.

وفى هذا السياق، أرجو ألا ننشغل كثيرا بالغرب، بمقدار ما ننشغل بتراثنا وتاريخنا.

فهؤلاء الناس مروا بظروف أسوأ مما مررنا به، وأنت تعلم أنه كانت عندهم حروب دينية استمرت ثلاثين سنة.

وفى اعتقادى أن أوروبا لم تبدأ فى التنمية الحقيقية إلا بعد الحرب العالمية الثانية، ولو أخذنا مثلا كألمانيا، سنجد أنها بدأت ـ تقريبا ـ من الصفر بعد عام ١٩٤٥، فقد دُمرت المدن ـ تماما ـ كما تعلم، لقد بدأوا وقتها، وهى نفس اللحظة، التى بدأنا نستيقظ فيها، فإذا فهمنا بأننا مثل بقية البشر نستطيع أن نفكر ونبدع ونخترع، فلن نشعر بالدونية أو العجز عن القيام بمثل ما قاموا به، وبخاصة إن ما ترسخ فى يقيننا أننا استطعناه ـ بالفعل ـ من قبل.

التقدم ينمو حيث ينمو مناخ التقدم!

ينبغ عندنا عالم ذَرة أو طبيب، فلا يجد له مكانا فى بلادنا، حتى يأخذوه فى الخارج.

عندما تجىء حكومة وتجلس على مقاعد السلطة فى الخرطوم، وهى لا تدرك الضياع والتبديد لهذه الطاقات، وفرحانة بنفسها لأن لديها علم، ونشيد، ووزارة خارجية، ويزورها سفراء، ولديها جيش. فهذه الحكومة ـ فى تقديرى المتواضع ـ لاتفهم مهمة الحكومة.

الأدب!

● هذا ـ بالضبط ـ نمط القضايا الكبيرة والأسئلة الكبيرة، التى يثيرها الأدب وهى الفكرة الحاكمة التى بدأت بها هذا الحوار.. وأنا أعود ـ الآن ـ إلى التنويع على هذه النغمة، التى وضعتها على النوتة الموسيقية لحوارنا معا.

فأقول: إن هذا التأثير الذى يحدثه الأدب بإثارته للقضايا الكبيرة، والأسئلة الكبيرة، مرتبط بعاملين.. (عامل الكيف الإبداعى.. ومرتبط بعامل الكم الإبداعى أيضا).. وعلى ضوء هذا الطرح، ما رأيك فى المقولة النقدية المزمنة التى تطرح بشأن أدبك، حين يقال إنك أديب العمل الواحد الذى يبدو معجزة كبيضة الديك؟.. هل توافق على معيار الغزارة أو معيار الكم حين نكون بصدد تقويم النتاج الأدبى والفكرى للمبدع؟

○ أولا: أنا لست أديب العمل الواحد.. ولقد كتبت أربع روايات، وكل عمل منها، طرح وجهة نظر كبيرة للناس كيما يفكروا فيها.

ثانيا: أنا لا أؤمن بثرثرة الغزارة، أو بأن هذه الغزارة هى ـ بالضرورة ـ المقياس حين نكون بصدد تقييم عمل أدبى، وأنت تعلم ـ لأنك رجل مثقف وقارئ ـ أن بعض الكتّاب فى الأدب العالمى، كتبوا كتابا واحدا، وانتهى أمرهم بعد ذلك!

ثالثا: نحن ـ دائما ـ نفكر بطريقة فردية.

لا تتناولنى (كأنا).. ولكن تناولنى (كجزء من تيار)، خذنى كجزء من مجموعة كبيرة تنتج.

المهم أن يكون لدينا تيار، وليس فردا مهما بلغ من العبقرية.

عشرة.. مائة.. ألف يشتغلون، أصوات فى سيمفونية، وأنا جزء من هذه السيمفونية العربية.

لا أشعر بالتقصير تجاه قارئ، ولا تحتل قضية أن أنتج عشرة أو خمسة عشر عملا أهمية كبيرة عندى.

أنا أفرح جدا، عندنا يجىء كاتب من سوريا، أو تونس، أو العراق، أو المغرب، أو مصر - بالضرورة - ويقول ما كنت أريد أن أقوله، وأرى أن فى هذا الكفاية!!

جماعة!

● أتريدنى - إذن - أن أنظر إلى أدبك فى إطار الجماعة، وليس فى إطار الفرد؟

○ أى نعم!

● حاضر..!

نحن - يا طيب - فى عالم يدعى أن له سيدا واحدا.. كيف ترى حدود القسمة فى هذا العالم، هل أصبح الأدب والإبداع من (نصيبنا) أو من (نصيبهم).. وهل أصبحنا عبيد الزمن الجديد ننتج مشغولات فكرية وأدبية، من أجل أن يضحك الملك ويُسرى عنه؟

○ إذا كنت تقصد حكاية النظام العالمى الجديد، والقوة العظمى الوحيدة. فأنا أؤكد أنه لا يوجد نظام عالمى جديد، كما لا توجد سوبر باور وحيدة، وأنت تعلم هذا.

توجد مظاهر قوة وقتية، ونحن نعلم من تاريخ الإنسانية الطويل أن قوى كثيرة وردت على البشرية، وزعمت كل منها أنها الوحيدة.

حتى العرب كانوا فى يوم من الأيام، سوبر باور.

وكل هذه موجات زائلة، ويجب ألا نتهيبها.

أمريكا نفسها شيء واحد، حتى يتصور البعض أنها سوبر باور واحدة!

هل يمكن أن تدلنى أين موقع الأمريكى الأسود فى هارلم، أو المهاجر المكسيكى، أو الهندى الأحمر الذى تحول إلى لاجئ فى بناء هذه القوة العظمى؟!

القوة العظمى، توجد فى واشنطن فقط، وتتمثل فى النخبة الحاكمة Rullig El-lite

وميكانيكية التاريخ - أكيد - لا تقبل سيطرة سيد واحد،.. هؤلاء ليسوا ملائكة نزلوا من السماء، ولكنهم بشر مثلنا، ونحن يجب أن نزداد ثقة بأنفسنا، ونعزز قوانا الذاتية، وننتج، ونعمل مثلنا مثل غيرنا.

حداثاوية!

● سأعاود النظر إليك فى إطار الجماعة الثقافية.. كما طلبت، وأسألك عن ساحة النقد العربى، التى يخيل لى أنها تحتاج إلى تأمل طويل، فقد أصبحت من وجهة نظرى ساحة لإنتاج الضجيج، وغابت فيها المعايير بشكل واضح، بحيث أصبحت السمة الغالبة عليها هى تسييد المعايير السياسية، والأيديولوجية، بأكثر من تغليب المعايير الفنية والإبداعية، فصار كتّاب التيار يكتبون لنقاد نفس التيار، ثم صار نقاد التيار يكتبون عن كتّاب نفس التيار وهكذا.. كيف ترى ساحة النقد العربى الآن؟

○ أنا لا أعيش - بصفة مستديمة - فى العالم العربى، فلا أستطيع أن أحكم على الاتجاهات العامة للنقد العربى.

وفى الأصل، فإننى منذ زمن بعيد لا أشغل نفسى بالنقد، وبعض الناس يزعلون علينا بسبب هذا الرأى.

أنا لا أتصور أن أقرأ لناقد، ثم أكتب معدلا، أو مغيرا طريقة كتابتى، لأنه أعطانى نصائح!!

لايوجد كاتب يفعل هذا أبدا.

حتمية الكتابة، هى كل تركيبتك الذهنية والوجدانية، واتجاهاتك، ومدى موهبتك.

وعندما تكتب، فأنت ـ بالقطع ـ لا تفكر فى أن الدكتور فلان قال كذا أو كيت.

ولكن عندما يكون النقد جيدا، فهو إبداع مواز للعمل الأدبى، وليس مكملا له.

ولذلك أنت تستطيع أن تقرأ مقالا نقديا كما تقرأ رواية، لأنه جميل، وفيه فكر، وهذا معروف فى ساحة النقاد الإنجليز كما تعرف.

أنت تقرأ للواحد فيهم، بوصفه مبدعا، أمامك كولاريدج، وهارليت وليفز كأمثلة على ذلك.

ولذلك أن لا أشغل نفسى بالنقد فى ذاته، ولكنى أقرأ ما تقع يدى عليه للمتعة، وإذا وجدت ناقدا ظننت أنه متحيز أو مجحف فى حقى، فهو حر.

- **سأعيد تذكيرك بمدخل سؤالى، الذى كان عن مدى تأثير الحالة النقدية الراهنة، فى العالم العربى على الإبداع الجديد، هذا ما بدأنا به فى هذا الإطار، وهذا ما ننتهى به، كدائرة آخرها يسلمك إلى أولها.**

○ كما يجب على الأديب أن يهتم بالأسئلة الكبرى، فإن الناقد والأكاديمى، والمخرج السينمائى، ومعد برنامج الراديو أو التليفزيون.. يجب أن يهتم ـ كذلك ـ بهذه الأسئلة الكبرى.

الاهتمام بالأشياء المعقدة يقدم نتائج غاية فى الأهمية.

ولكى نكون منصفين، فإنه من حسن الحظ، يوجد نقاد مخلصون وأمناء ومدركون.

ولقد أفرحنى - شخصيا - أن اهتم بى فى مصر نقاد يكتبون فى الصحف مثل: صديقنا الأستاذ رجاء النقاش، أو أكاديميين مثل: الدكتور على الراعى، والدكتور عبد القادر القط، وهذا معناه أن هؤلاء الناس مهتمين.. كل هذا حدث وأنا أعيش بعيدا، والمفترض غير معروف،، وهذه ظاهرة إيجابية للغاية.

● **يا أستاذ طيب هؤلاء مترافقين أو مجاورين للحالة الإبداعية التى تمثلها، ويمثلها جيلك، ولكننى أتحدث عن نقد جديد، يتعامل مع إبداع جديد.**

○ هذه قضية ثانية.

● **بل هى قضية أولى فى تصورى؟**

○ قضية أولى، ولكننى لست ملما بحيثياتها!

● **هل تريد الهروب من الإجابة؟**

○ لا والله.. أنا أقرأ أحيانا أن هناك نقادا يروجون لنوع معين من الأدب!!

دعنى أقولها لك بصراحة أكبر. هناك - مثلا - الحساسية الجديدة، والحداثة، وما بعد الحداثة، التى أصبح لها مبدعيها، كما أصبح لها نقادها.. والتوكيل التجارى لا يخرج عن الطرفين.

هذا هو التيار الموازى، وليس ما وصفته من لحظات عن أن النقد هو إبداع موازٍ.. إذ إننى أظن أن هناك (حالة إبداع جديدة + حالة نقد جديدة) موازية (لحالة النقد التقليدية + حالة الإبداع التقليدية)!

○ هذه ظاهرة المفروض أن ندرسها، وأنا شخصيا، حضرت ندوة منذ ثلاث سنوات فى مراكش، وكانت كلها عن الحداثة، والحداثاوية، وحقيقة كان بعض الأخوة وفيهم أساتذة كبار، كانوا يقولون كلاما أنا لم أفهمه، فرجعت إلى بعض المصادر باللغة الإنجليزية للناس الذين يهتمون بهم، فى إطار الحداثة مثل: فوكو، وبارت، ولاكان، فلقيت أن هؤلاء المفكرين الفرنسيين فى الغالب، لهم تركيبة حضارية يستهويها اللعب بالأفكار، فيخترعون شيئا ويلعبون به، ثم يتركونه! وبالطبع لا يوجد شيء كهذا عندنا، من حيث المرونه الفكرية، وبالتالى فقد أخذنا لعب بعضهم على أنه جد!!

أو بعبارة أخرى، ليس عندنا معنى اللهو الإبداعى العقلى، وبحيث أصبح استقبالنا لمرونة الآخرين ولهوهم على أنه عقيدة فكرية أو إبداعية ينبغى تبنيها!!

ننيخ كما ينيخ الجمل إلى جوار إبداعات العالم.

وقد أصبحوا ـ بالنسبة لنا ـ أو بطريقتنا فى فهمهم، جحيما، مثلما كان جان بول سارتر يردد: (الجحيم هو الآخرون).

● **هل تعتقد أنه نزوع نحو الاكتئاب أكثر من أى شيء آخر؟**

○ معك حق. . حيث يوجد عنصر دينى كبير جدا، عند الفلاسفة الحداثاويين الفرنسيين، فهم يبحثون مشكلة أن واحدا كاثوليكيا ـ مثلا ـ تحول إلى مذهب آخر أو أن أحدهم ترك دينه.

هذا لا يخصنا فى شيء.

إذا كانت الأمة ليست حية أو متحركة أو منتجة، تكون عرضة لأى أفكار تأتيها من الخارج، ولا تكون فى وضع التسلح فى مواجهتها بمقاييسها أو معاييرها الخاصة.

عندنا شباب مندهشون بالأفكار الجديدة، لأنها تبدو لهم جذابة. ومن هنا يجب على الكتّاب والمبدعين العرب أن ينتجوا لكى يملأوا الفراغات التى تسيطر منها هذه الأفكار التى لا تخصنا فى شيء.

حتى الأرض، التى نعيش عليها من آلاف السنين، افترضنا أنها قد صفت لنا، كما يقول العرب، وأنه لا يوجد من يستطيع أن يأخذها منا.

ولكننا نعلم أن الكوكب ـ الآن ـ أصبح صغيرا جدا، والعالم يزيد بملايين البشر.. عندك ـ الآن ـ الهند وصلت مليار، والصين وصلت مليار ومائتى مليون، على حين نحن كل تعدادنا وصل إلى ٢٢٠ مليون من العرب نعيش فى مساحة شاسعة، فإذا تصورنا أن هذه الجموع من البشر سوف تتركنا فى حالنا، فنحن مخطئون.

هناك من سوف ينازعنا..

وزهير قبل ألفى سنة قال: (ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم).

لابد أن نحمى حياضنا بسلاحنا، وبطريقة إيجابية، وإلا سنؤكل.

- **وفى إطار النظر إليك داخل جماعة، فإن من الملاحظات على الساحة العربية الثقافية فى اللحظة الراهنة، أن هناك قدرا لا بأس به من الضغط والتضاغط فى هذه الساحة، والتنابذ بالألقاب، والتدافع بالأكتاف حول موضوعات أصبحت كوميدية جدا مثل: (أى العواصم العربية هى عاصمة الثقافة فى العالم العربى؟).. فى تصورك هل لهذا الجدل أساس؟**

○ هذا الجدل لا قيمة له إطلاقا.

وبالمناسبة، فإن هذا التعبير ظهر لأن اليونسكو، ابتدعت تقليدا باختيار إحدى العواصم كعاصمة ثقافية للعالم.

ولكن ـ من دون أية مجاملة للمصريين ـ فأنا لا يراودنى أدنى شك أن القاهرة، هى عاصمة الثقافة فى العالم العربى، ولابد أن نقبل هذا، وألا «نناكف»، إذ إن هذا لا يغض منى كسودانى، أو لبنانى، أو سعودى، أو عراقى.

القاهرة ـ بالتراكمات التى حدثت فيها، هى عاصمة الثقافة فى العالم العربى، وتدعيم هذا المركز هو من مصلحتنا جميعا.

نحن ـ دائما ـ نتحدث عن الوحدة، والوحدة لابد لها من مركز. وإذا كان هناك مركز قائم بالفعل، فلماذا نبحث عن مركز غيره.

ولكن كما أقول لإخواننا المصريين، كونكم ـ أنتم المركز ـ وفى أشياء كثيرة وليس ـ فقط ـ فى الثقافة، فهذا لا يعنى أن المبدعين هم من المصريين فقط!!

وقد قلت مرة لأخ مصرى: «مصر هى الزعيم فى العالم العربى ـ ولكن هذا لا يعنى أنك زعيم علىّ»!!!

مصر دائما كريمة، وتحتفى بالمواهب (أحدهم جاء من شنجيط فى موريتانيا ليصبح إماما للأزهر).

مصر تحسن هذا الدور، ولعبته على أحسن وجه.. طوال تاريخها ونحن نريد أن نعززه ونجعله أكثر ثراء.

ثورة!

● أريد أن أستعيدك ـ يا طيب ـ من العام إلى الخاص، ومن الجماعى إلى الفردى مرة أخرى!

ونحن نعرف أن اللغة كائن حى، ينضج ويتطور ويكبر، هل تشعر بتطور اللغة ـ عندك؟.. وماذا عن تطور الفورم.. هل ترى أنك فى حاجة إلى التمرد أو الثورة على الفورم التقليدى للإبداع الروائى، أو حتى إن هناك ضرورة للتمرد على الشكل الذى أبدعت أنت فيه قبلا؟

○ طبعا، كل من يمارس البيان العربى، هو فى واقع الأمر، يمارس جدلية مستمرة مع اللغة.

اللغة العربية واسعة، وهى من أغنى لغات العالم.

وبالمناسبة، لقد أدركت كم أن اللغة العربية منطقية حين بدأت، أتعلم الفرنسية على كبر، عندما كنت فى اليونسكو فى باريس، ووجدت أن قواعد ونحو اللغة الفرنسية ليس له أى منطق

عندنا فى اللغة العربية تبدأ الكلمة مثل هذا: (كتب ـ يكتب ـ كتابا ـ مكتوبا ـ ومكتبات)، ولكن الفرنسى يبدأ شيئا، وينتهى شيئا آخر!

ولكن الفرنسيين حولوها، رغم صعوباتها إلى لغة جميلة.

وعندنا بعض الناس الذين يستهويهم التغيير فى حد ذاته، أو الضيق بالشىء الذى يملكونه أو يريدون ما فى أيادى الآخرين، يقولون إن النحو العربى صعب، ولابد أن نغير. ونكتب بالحروف اللاتينية.

أقول لهؤلاء اتعبوا قليلا، واعرفوا لغتكم.

نحن ـ أحيانا ـ نحاول أن نوسع الإناء باستمرار، ولكن لابد أن نعرف أنه إذا ضاقت الكلمات عن التعبير، حتى عندى شخصيا، فليس ذلك لأن اللغة عاجزة، ولكن لأننى جاهل باللغة، ولست عالما بها كما يجب، وعندنا تجارب هائلة فى مزج العامى بالفصيح.

ولقد ذكرت عبد الرحمن الأبنودى ـ مثلا ـ منذ دقائق، وهذا يطرح قضية مهمة.

فما يسمى بالشعر العامى عندنا سواء فى مصر أو السودان أو لبنان أو الجزيرة العربية، ستجده مرات أفصح من الشعر الفصيح.

وإذا نظرت إلى شعر الأبنودى أو صلاح جاهين أو فؤاد حداد أو عندنا فى السودان سيد أحمد الحردلو أو الشعر النبطى للأمير خالد الفيصل من السعودية، ستجد أن المعانى هى أقرب لروح الفصحى من بعض القصائد الموزونة المقفاة، التى تكتب هذه الأيام.

لدينا تجارب فى اللغة، ولدينا كنز لغوى كبير، يجب أن ندرك قيمته.

عبد الرحمن الأبنودى شاعر بالمعنى المطلق للكمة، ولا يجب تسكينه فى خانة (العامية)!

وإحساسنا بقيمة هذا الإبداع، وبقيمة لغتنا، إنما يكمن فى رغبة الأمة وعزيمتها على إيجاد حلول.

المبدع مثل رجل السياسة والمؤرخ يريد الوصول إلى حلول وإلى فهم.

● هذا عن اللغة.. فماذا عن الفورم؟

○ الفورم ـ فى نهاية المقام ـ يحدد المعنى، ويحدد قدرة الشخص على التعبير، والمبدع يُوسع، ويضيق فى الفورم، حسب قدرته على التعبير.

غربة!

● فى منطقة ما من هذا الحوار، قلت لى إنك حملت تراثك من السودان إلى هنا.

أى نعم.. وكيف ترى بعد ذلك تأثير الغربة على أدبك؟ ثم هل نستطيع من الوجهة النقدية أن نفرق بين الغربة المادية بحياتك ـ هنا ـ فى لندن، وبين الغربة المجازية، بينك وبين العصر، بينك وبين موروثك، بينك وبين هذه الترسانة من المفاهيم والأفكار التى حملتها يوما على ظهرك من الخرطوم إلى أوروبا؟

○ فى هذه السن، لم أعد أبالى بشأن قضية البعد عن المكان.

أبو الطيب المتنبى وهو الإكسيلنس (المغترب) الكبير فى تاريخ الإبداع العربى له بيت يعجبنى جدا يقول فيه:

غنى عن الأوطان لا يستخفنى
إلى بلد سافرت عنه غياب

(غنى عن الأوطان)، لأنه أصبح عبارة عن عالم قاتم بذاتة، متحرك.

وأنا لم أبلغ هذه القيمة ـ معاذ الله ـ ولكننى بدأت أحس بعض المعاناة، وفقد الأهل والوطن والأشياء التى ألفتها.

المكان الجغرافى، ليس مهما فى نهاية الأمر، فالاتصالات الحديثة وارتباط العالم ببعضه البعض وتقاربه ألغى هذا.

لو ذهبت وعشت فى الخرطوم، ربما أشعر بالغربة، لأننى لست من الخرطوم، ولكننى من قرية فى شمال السودان.

ومادمت أحمل هذه القرية فى ضميرى، وما دمت قادرا على السفر إليها، والعودة منها.

هنا يوجد من الإنجليز ما يسمى Commuter، وهو الذى يقطن الضواحى، ويعمل فى المدن.

وإذا صح التعبير أنا Commuter من حالة ذهنية إلى أخرى، ومن حالة فى العيش إلى أخرى، وأصبح الوطن ومعناه موجودين فى ذهنى. ومن هنا فإن كونى لا أعيش فيه بجسمى أصبح أقل ألما مما كان زمان.

● هذا عن الابتعاد والاقتراب الجغرافى.. فماذا عن الابتعاد والاغتراب عن العصر؟

○ أنا من الناس الذين يمارسون ـ بلا فخر ـ هذا التنقل بين التراث والفكرة، ومن الممكن أن يستهوينى شاعر صعب، قليل من الأكاديميين يهتمون به مثل ذى الرمه، وقد كتبت عنه كثيرا، بمقدار ما استهوانى مثلا شاعر إنجليزى اسمه «إمبسون»، وممكن أقرأ فى العلوم، وأقرأ فى التاريخ.

القضية قضية وقت، وقضية سن يتقدم.

ياريت يعيش المرء ٣٠٠ عام، حيث توجد أشياء كثيرة لابد للإنسان أن يعرفها.

● **إذن أصبحت لك أسئلتك الكبرى، وقضاياك الكبرى التى لها الصفة الكونية، أكثر بكثير من أن تكون لها صفة وطنية أو صفة شخصية.**

○ أرجوك..

عندما قلت إن الرواية تطرح الأسئلة الكبرى، أرجو ألا تنسب هذا إلى أدب شخصى الضعيف.. أنا قطرة من هذا البحر.. ترس فى العجلة.. وأعتقد أننا سنصل إن شاء الله إلى طرح هذه الأسئلة الكبرى!

● **تصل إن شاء الله،ولكن قطرة فى البحر، أو ترس فى العجلة، لابد أن يتسم بسماتها، ويتكون من نفس مكوناتها.. فهل يعنى هذا أن أسئلتك الذاتية أصبحت أسئلة كونية وليست أسئلة محلية؟**

○ حكاية أنها محلية أو كونية هى فكرة قابلة للجدل.

● **هل تقبل Commutation أو التنقل بين ما هو محلى، وما هو كونى، كما قبلته بين التراث والمعاصرة؟**

○ أنا أقوم بالتنقل بين معارف مختلفة.. ومن جهة أخرى، فمن الجائز أن تجىء معرفة تنسب لنفسها الكونية، فى حين هى محلية، يعنى كل شىء مرتبط بزمان ومكان..

وقد يجىء فيلسوف ويزعم بأنه يخاطب الوجود بمعناه الواسع، وتجده فى نهاية الأمر متأثرا ـ ربما ـ بحياته الشخصية.

الآن يكتبون عن ماركس، ويشيرون إلى أن حياته الخاصة كانت فيها مشكلة، وأن هذا ربما أثر على فكره وكتابته.

وهذا الكلام يغضب الجادين تماما، ويعتبرون أننى أمازح، ولكن الحقيقة أننا لا ندرى ما هو الكونى وما هو غير الكونى.

● لقد تقاسمنا فى هذا الحوار الكثير مما هو مازح، ولكننى أزعم أننا كنا أكثر جدية من معظم هؤلاء الذين يدعونها.. أشكرك ياطيب.

❑ ❑ ❑